قصص الأنبياء

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب

تأليف المرحوم

عبد الوهاب النجار

مدرّس التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين

وناظر مدرسة المرحوم عثمان ماهر باشا [سابقاً]

الطبعة الثالثة

منقحة وبها زيادات هامة

دار

إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

فهرس الكتاب

	صفحة
مقدمة الطبعة الأولى	ز
مقدمة الطبعة الثانية	ى
كيف قابل الناس هذا الكتاب حين ظهور الطبعة الأولى منه	ك
القواعد التي سرت على ضوئها في تأليف هذا الكتاب	س
آدم عليه السلام	١
خلق آدم من طين · اباء ابليس عن السجود لآدم	٢
استخلاف الله آدم فى الأرض	٤
تعليم الله آدم المسميات	٥
خروج حواء وآدم من الجنة	٦
مسائل فى قصة آدم والاجابة عنها	٨
أين توجد الجنة ؟	٩
هل آدم نبى ورسول ؟	١٠
هل آدم هذا هو أول البشر ؟	١١
العقل ومشتقاته فى القرآن الكريم	١٢
نظرية دارون	١٣
قصة آدم فى سفر التكوين	١٦
من هم الملائكة ؟	١٧
العظة فى قصة آدم	٢١
قابيل وهابيل	٢٢
ادريس عليه السلام	٢٤
بعض ما سنه لقومه	٢٦
ما أمر به من القرابين · ادريس هو هرمس الهرامسة	٢٧
نوح عليه السلام	٣٠
قوم نوح · ارسال الله نوحا الى قومه	٣٢
اجتهاد نوح فى دعوته	٣٣
يأس نوح من هداية قومه · سفينة نوح	٣٤
الطوفان	٣٦
أين جبل الجودى ؟	٣٧
مسألة نوح فى ابنه، وهل كان ابنه حقيقة	٣٨

	صفحة
قصة نوح فى التوراة	٤٥
قصة الطوفان فى الثقافة الوثنية الهندية	٤٦
عمر نوح	٤٧
هود عليه السلام	٤٩
مساكن عاد · عبادتهم	٥١
العبرة من قصة هود مع قوم عاد	٥٦
صالح عليه السلام	٥٨
مساكن ثمود	٥٨
دين أهل ثمود	٥٩
ناقة صالح	٦٠
هلاك قوم ثمود بالصاعقة	٦٦
ابراهيم عليه السلام	٧٠
اسم أبيه	٧٠
نسب ابراهيم الى نوح	٧٣
نقض رأى هجرونييه وفنسنك فى ابراهيم عليه السلام	٧٤
بيان السور والآيات التى ذكر فيها ابراهيم عليه السلام	٧٧
بيان السور والآيات التى ذكر فيها لوط واسحاق عليهما السلام	٧٨
قصة ابراهيم · تبييته الشر للأصنام	٧٩
المحاكمة	٨٠
محاجة ابراهيم للملك · مواقف ابراهيم مع قومه	٨١
اخفاق ابراهيم فى هداية قومه · رحلته الى أور الكلدانيين ثم الى حران · رحلته الى فلسطين ومعه لوط ابن أخيه	٨٣
رحلته الى مصر	٨٤
دخول ابراهيم بهاجر	٩٢
ولادة اسماعيل من هاجر	٩٣
سنة الختان · ابراهيم والملائكة الذين أرسلوا الى قوم لوط	٩٤
دفاع ابراهيم عن لوط ومجادلته عن قوم	

صفحة

لوط · البشرى باسحاق ٩٥
حب الاستطلاع فى ابراهيم ٩٦
اسحق عليه السلام ٩٨
اسماعيل عليه السلام ١٠١
اسماعيل عليه السلام هو الذبيح ١٠١
رحلة اسماعيل وهاجر الى مكة ١٠٣
بناء البيت ١٠٦
علاقة العرب بابراهيم واسماعيل ١٠٨
وفاة اسماعيل ١٠٩
وفاة ابراهيم · زواج اسحق ١١٠
تغرب اسحق · موت اسحق ١١١
لوط عليه السلام ١١٢
أهل سدوم وهم قوم لوط ١١٢
مكان العبرة فى قصة ابراهيم واسماعيل واسحق ولوط عليهم السلام ١١٦
يعقوب عليه السلام ١١٩
يوسف عليه السلام ١٢٠
يوسف عند أبيه ١٢٠
يوسف عند سيده ١٢٢
محنة يوسف ١٢٣
يوسف وامرأة العزيز ١٢٥
يوسف فى السجن يدعو لدينه ١٢٧
الفرج ليوسف ١٢٨
يوسف بحضرة الملك ١٣٠
اخوة يوسف فى مصر يمتارون ١٣١
اخوة يوسف عند أبيهم ١٣٢
يوسف وأخوه بنيامين ١٣٤
يوسف يتعرف الى اخوته ١٣٦
الأخلاق التى تستفاد من قصة يوسف ١٣٨
شعيب عليه السلام ١٤٥
قومه ومكانهم ١٤٥
تهديد شعيب والمؤمنين باخراجهم من القرية ١٤٦
زمن شعيب ١٤٨
بنو اسرائيل بمصر ١٤٩
وفاة يعقوب ١٥٢
موسى عليه السلام ١٥٥
ولادته وارضاعه ١٥٥
تربيته فى بيت فرعون ١٥٩
خروجه الى أرض مدين وسببه ١٦٣
مصاهرة موسى للشيخ الكبير ١٦٨

صفحة

من هو صهر موسى ؟ ١٦٩
بعثته عليه السلام بالوادى المقدس ١٧٣
عودته الى مصر ودعوته لفرعون ١٧٩
موسى يحاج فرعون فى ربوبية الله تعالى ١٨٢
فرعون يدعى الألوهية ١٨٤
معجزتا العصا واليد ١٨٧
تمادى فرعون وقومه فى اصرارهم على الكفر ١٩٣
الائتمار بموسى لقتله ١٩٤
فرعون ينادى بأنه رب الناس الأعلى ١٩٦
آيات الله على فرعون وقومه لما كذبوا موسى ١٩٧
انطلاق بنى اسرائيل وغرق فرعون ٢٠٠
من هو فرعون صاحب موسى ٢٠١
سوء حال فرعون وقومه يوم القيامة ٢٠٩
لصوق الوثنية بقلوب فريق من بنى اسرائيل ٢١٠
طلبهم من موسى أن يجعل لهم الها حينما مروا على قوم يعبدون الأصنام · تفجير العيون من الصخر لهم · انزال المن والسلوى عليهم ٢١١
تظليل الغمام لهم من حر الشمس · الميقات ٢١٢
دار الفاسقين · اتخاذ بنى اسرائيل العجل الها ٢١٨
ما حقيقة هذا العجل؟ من هو السامرى؟ ٢٢٠
الأرض المقدسة · التيه ٢٢٧
نتق الجبل ٢٢٩
مسألة البقرة ٢٣٥
معانى لفظ (آية) فى القرآن الكريم ٢٤٨
عرض معالم جريمة القتل على المتهم والقرائن الخاصة بذلك ٢٥١
جريمة القتل التى هزت فرنسا (قضية فيوليت نوزيير سنة ١٩٣٣) ٢٥٤
قصة قارون · ايذاء بنى اسرائيل لموسى وتبرئة الله اياه ٢٨١
وصف الأدرة ٢٨٨
اختيار موسى سبعين رجلا من قومه للتوبة من اتخاذ بنى اسرائيل العجل الها · طلب بعضهم من موسى أن يروا الله جهرة ٢٩٢
التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم ٢٩٣

صفحة

العبد الصالح صاحب موسى . . ٢٩٥
ما اسم هذا العبد الصالح ؟ . . ٢٩٦
تذكير الله تعالى بنى اسرائيل بنعمه عليهم ٢٩٧
موت هارون ثم موسى . موقف لبنى اسرائيل حين أمروا بدخول قرية أريحا فى عهد يوشع . . . ٢٩٨
ثناء الله تعالى على موسى وهارون . ٢٩٩
العظات التى تستفاد من قصة موسى . ٣٠٠
هجرة بنى اسرائيل من فلسطين الى الحجاز ٣٠١
داود عليه السلام ٣٠٣
ظهور أمره فى المحاربة بين طالوت وجالوت ٣٠٦
اقامة الاسرائيليين داود ملكا عليهم . ٣٠٩
موقفان لداود ٣١١
مكان العبرة من قصة داود . . . ٣١٦
سليمان عليه السلام ٣١٧
علمه منطق الطير ٣١٨
تسخير الرياح له ٣١٩
مسألة الصافنات الجياد . . . ٣٢٢
فتنة سليمان والقاء الجسد على كرسيه ٣٢٣
اسالة عين القطر لسليمان . . . ٣٣١
تسخير الجن لسليمان ٣٣٢
سليمان وملكة سبأ ٣٣٣
سليمان والنملة . النمل الأبيض . ٣٣٦
موت سليمان ٣٣٧
دابة الأرض : الأرضة ٣٤٤
أيوب عليه السلام ٣٤٩
ضر أيوب . مسألة امرأة أيوب . ٣٥١
يونس عليه السلام ٣٥٣
يونس عند أهل الكتاب . . . ٣٦٢
آيات عامة بما نزل على الأمم الخالية . ٣٦٣
آيات عامة بأسماء بعض الأنبياء والمرسلين اجمالا ٣٦٦
زكريا عليه السلام ٣٦٨
يحيى عليه السلام ٣٦٩
عيسى عليه السلام ٣٧١
بيان الآيات التى ذكر فيها عيسى عليه السلام ٣٧٢

صفحة

نسبه عند النصارى . نسبه فى انجيل متى . نسبه فى انجيل لوقا . . ٣٧٣
مريم بنت عمران ٣٧٤
تبشير مريم بعيسى ٣٧٥
معنى كلمة « مسيح » . . . ٣٧٦
حمل مريم بالمسيح وولادته . . . ٣٧٨
أخبار جبريل يوسف النجار بحمل العذراء مريم ٣٨٢
مريم تفكر فى أمرها ٣٨٣
ختان المسيح . المجوس ويسوع . . ٣٨٥
رحلة يوسف النجار ومريم بالمسيح الى مصر . يسوع يحاج العلماء . . ٣٨٦
كيف ابتدأت نبوة المسيح . . . ٣٨٧
يسوع يتلقى الانجيل على جبل الزيتون ٣٨٨
نبوة المسيح على رأس الثلاثين . معنى كلمة انجيل ٣٨٩
المهمة التى جاء لها المسيح . . . ٣٩٢
تبشير المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم ٣٩٧
الأناجيل الموجودة الآن ٣٩٩
انجيل برنابا ٤٠٣
الحواريون ٤٠٥
الأناجيل فى رأى القرافى . . . ٤٠٧
معجزات عيسى عليه السلام . . ٤٠٨
مسألة المائدة ٤١٢
خاتمة أمر المسيح ٤٢٢
القاء شبه المسيح على غيره . . ٤٢٥
الشبه والاشتباه ٤٢٦
اليهود وصلب المسيح . . . ٤٣٠
خاتمة شأن المسيح عند النصارى . ٤٣١
عقيدة الصلب والفداء وثنية . . ٤٣٢
اختلاف الأناجيل فى صلب المسيح . ٤٣٣
قيام المسيح من القبر ٤٤٩
المسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله ٤٥٢
حجة المسيحيين فى الهية المسيح . ٤٥٨
التالوث ٤٥٩
ابن ٤٦١
روح ٤٦٢
موقف للمسيح لم يذكر فى القرآن . ٤٦٣
موقف للمسيح فى اليوم الآخر . . ٤٦٧
الخاتمة ٤٦٨

٢١ – هارون ٢٣ – والبيع ٢٥ – سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

٢٢ – الماضي ٢٤ – يونس

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لِنَهْتَدِىَ لولا أن هدانا الله . والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الذى قصَّ اللهُ عليه أحسن القصص فى كتابه الكريم . وعلى إخوانه من الرُّسُل والأنبياء أهل القدر العظيم .

و بعد ؛ فقد وجَّهَتْ مشيخةُ قسم التخصص بالأزهر الشريف إلى هذا العبد الضعيف أن يُلْقِىَ دروساً على طلبة قسم الوعظ والإرشاد فى قَصَص الأنبياء الأطهار الذين وَرَد ذكرُهم فى القرآن وكان ذلك فى سنة ١٩٣٠ — ١٩٣١ الدراسية .

لم أجد بُدًّا من امتثال الأمر وقد قمتُ من هذه المهنة الكبيرة بما وصل إليه الإمكان على وَجْهٍ أرجو أن يكون مَرْضِيًّا عند الناس ، مقبولاً عند الله .

ولا بُدَّ لى من بيان الطريق الذى سلكتُه ليكون القارىء على بَيِّنَة من الأمور واقفاً على المغزى الذى عنيته :

١ — أخذت نفسى بأن أبدأ باسم النبى الذى أريد الكلام فى شأنه وأُبيّن كم مرة ورد ذكره فى القرآن الكريم ، وأدل على رقم الآيات التى ذكر فيها من السور المختلفة ، وقد استعنت على ذلك بالقاموس أو الفهرس الذى عمله الدكتور « فلوجل » العالم الألمانى غير أنى جعلت الأرقام على مقتضى المصحف الكريم الذى طبعته الحكومة المصرية فى سنة ١٣٤٢ هجرية .

٢ — أُقَسِّم قَصص النبىّ من الأنبياء إلى عدّة مواقف أستوفى فى كل موقف شأنه فيه ، ثم أُتبِع ذلك الآيات الكريمة التى تدل عليه مع ذكر رقم كل آية بعدها غالباً .

٣ — يَغْلب أن أذكر ذلك الموقف إن كان له ذِكْرٌ فى كتب العهد القديم « التوراة » أو العهد الجديد « الإنجيل » وهو أحياناً يوافق القرآن وأحياناً يخالفه . ولا يعزب عن فكر القارىء الكريم

أن القرآن جاء مصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ؛ فما جاء به هو الحق الذى لا مراء فيه ، وكل ما يخالفه لا مُعَوّل عليه .

٤ — أن أبيّن أوجُه العظة والعبرة التى فى القصة على وجه الاختصار .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أنبِّه القارىء إلى أن كتب العهدين « القديم والجديد » ليس لهما سند متصل ولم تخل من تحريف المحرِّفين خطأً أو عمداً ، ولكنى بذلك أنبه الطالب الذى سيكون عرضةً للاتصال بأهل الكتابين بحكم مهمته و بصدد أن ترِد عليه النصوص منهما فى الموضوعات المختلفة ليكون على استعداد للإجابة عما يُسأل عنه وتكون عنده فكرة عنهما ، وليأخذ منهما ما يساعده على أدلته و براهينه، وليبطل ببعض نصوصهما ما يمكن إبطاله من الدعاوَى التى قد يدّعيها أهل الكتابين .

ولا يعزب عن فطنة القارىء أنى فى تلخيص القصة و إيراد آى القرآن لا أقصد إلى تحليل الكلمات و بيان إعجاز الآيات والإضافه فى بيان ما فيها من إطناب و إيجاز أو قِصَر أو تأخير أو نحو ذلك مما يعمد إليه المفسرون ، و إنما أقصد إلى تلخيصها تلخيصاً يجمع أطرافها و يحيط بمغزاها .

و إذا وقفتُ على رأى مفسر أو مفسرين لا يلتئم مع ما أفهم من القصة أوردتُه وأتبعت ذلك بالردّ عليه مبيِّناً الوجه الوجيه الذى إليه قصدت و إياه عنيت ، وأورِدُ ما قد يساعدنى على ما قد ذهبت إليه من أقوال ثقات المفسرين الآخرين .

أما الكتب التى رجعت إليها فى هذا الموضوع الشريف فهى :

١ — القرآن الكريم .

٢ — البخارى .

٣ — تفسير البيضاوى .

٤ — « الألوسى .

٥ — « الطبرى .

٦ — « الفخر الرازى .

٧ — « ابن كثير .

٨ — « المنار .

٩ — الأجوبة الفاخرة : للقرافى .

١٠ — تاريخ الطبرى .

١١ — تاريخ ابن الأثير .

١٢ — دائرة المعارف : للبستانى .

١٣ — إظهار الحق : لرحمة الله الهندى .

١٤ — الفارق بين المخلوق والخالق .

١٥ — القاموس المحيط : للفيروز أبادى .

١٦ — تاج العروس .

١٧ — لسان العرب : لابن منظور .

١٨ — كتب العهد القديم والعهد الجديد .

١٩ — قاموس الكتاب المقدس .

وإنى فى هذا المقام أشكر لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخ الأزهر الشريف ورئيس مجلس الأزهر الأعلى ، والأستاذ الكبير صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية ورئيس قسم التخصص — حُسْنَ ظنّهما بشخصى الضعيف وتقدير أنى أفيد الطلبة فيما أُسْنِد إلىَّ . وأشكر طلبة القسم « قسم التخصص » أن كانوا يناقشوننى فى الموضوعات التى آتيهم بها مناقشة تحمل على الدرس والمراجعة وتحقيق الحق الواجب الأتِّباع .

والذى أرجوه من كل مُطَّلع على هذه الكلمات أن يتفضل بأن يرسل إلىَّ ما يَعِنّ له من الملاحظات أو يقف عليه من خطأ أو زلل ، لأثبت له رأيه إذا أذن الله بطبع هذه الكلمات كتاباً مرة أخرى .

والله الهادى إلى سواء السبيل وهو حسبى ونعم الوكيل ؟

المؤلف

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذى الطَّوْل والإنعام . والصلاةُ والسلامُ على خاتَم النبيِّين والرُّسُل الكِرَام .

(و بعد) فهذا كتابٌ فى قَصَص الأنبياء الأطهار والمرسَلِين الأخيار ، الذين اختصهم الله بالمعجزات والآيات الباهرات وأقام بهم الدِّينَ الذى اصطفاه لهم ؛ فهدى بهم من الضلالة ، وأنقذ بهم من الجهالة ، وجعلهم أدِلَّاء على الهُدَى لمن استهداهم ممن قَصَص فى القرآن الكريم .

ولقد نظرتُ فى الكتب المؤلَّفة فى سِيَر أنبياء الله الأطهار ورُسُله الأبرار ، فوجدتُ مؤلفيها يجمعون الحق والباطل ، و يَقْرِنون إلى الصواب الخطأ ، و ينظمون العقود من الدُّرِّ والخزف ، لا يرجعون فى تلك القصص إلى تحقيق بيِّن به الرأيُ عن الزائف . وجُلُّ ما يعتمدون عليه إسرائيليات وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان ؛ فأردت أن يكون كتابى هذا عَلَماً يُهْتَدَى به إلى الصواب مع التنبيه على ما يكون فى تلك السِّيَر أو الروايات من الخطأ ، نُصْحاً منى لله ولرسوله ولخاصة المسلمين وعامّتهم ، وتطهيراً لذمتى واستبراء لضميرى . فإذا أصبتُ شاكلة الصواب فذلك بتوفيق الله تعالى وتسديده ، و إذا فَرَط منى خطأ فى فِكْر أو تقرير حادثة فلى أجرُ من اجتهد فأخطأ ولى من حسن القصد شافع لا يُردّ .

و إنى أسأل الله أن ينفع به قارئه وأن يُجَنِّبنى الخطأ والخَطَل والزيغ والزلل ، إنه ولىُّ التوفيق ، وهو حسبى ونعم الوكيل ؟

المؤلف

كيف قابل الناس كتاب قصص الأنبياء

حين ظهرت الطبعة الأولى

كان الناس فى كتاب قصص الأنبياء فريقين : —

أما الفريق الأول ، فهم خريجو المدارس العالية والمستنيرون والمثقفون وأعلام الهداية الذين حبَّب الله إليهم الإيمان وزيَّنه فى قلوبهم وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون من أعلام الأزهر الشريف الذين لا يشتهون سوى الحق طَلِبة ، ولا يبغون آيات الله عوجا ومن يلتقطون الحكمة أنَّى وَجَدوها .

هذا الفريق قد اغتبط بذلك الكتاب أيَّما اغتباط ووجدوه الضالة التى كانت أنفسهم تشتهى أن تجدها . أو هو مثل شعر ابن أبى ربيعة الذى بكت الشعراء من أجله الديار وندبت فى نشدانه الأطلال والآثار فأخطأهم الظفر به ووقع عليه المخيرى — وكان فرحهم به فرح المشوق بلقاء الحبيب فى غفلة من الرقيب ، أو فرح الأديب بالأديب ، أو العليل بالطبيب .

ولقد قال لى فاضلٌ من نظار المدارس بعد إهداء الكتاب إليه : « إذا كان فى الكتاب من عيب ، فهو أنه ألهَى زوجتى عن كل عمل فى بيتها وعن كل مصلحة لأولادها ، لجِدِّها فى البلوغ إلى نهايته » .

وأما الفريق الثانى : فهم الذين لم يحصلوا من العلم إلا على قشور لا تُسْمِنَ وَلا تُغنى من جوع . لهم عقول ولكنها معقولة عن التفكير . ولهم عيون ، ولكنهم لا يبصرون بها ضوء الصبح المسفر ، فهم يَعْشُون عن الحق وهو إنصاف ، ويلمحون الباطل وهو مستتر خاف . ولهم قلوب لا تفقه الرشد وهو واضح جلىّ ، ولا يفوتها الغىّ وهو مُوبِق وَبِىّ . ولهم آذان ، ولكن بها وَقْرٌ عن الهدى لا تُحة أعلامه متلبية لكل نبأة من الغى خفى جرسها . ومنهم أُمّيّون لا يعلمون الكتاب إلا أمانىّ وإن هم إلا يظنون . عندهم التفكير فى الحق جريمة لا تمحوها تَوْبَة . وإجالة الفكر فى المعقولات حَوْبة وأىُّ حوبة ، والويل كل الويل لمن تدبر آيات الله بعقله ، والثبور كل الثبور لمن فهم كلام الله بغير ما فهمه الأوَّلون ، أو عقل كلام الله على غير النمط الذى خطه الآباء الأقدمون . قد حصر الواحد منهم نفسه فى دائرة من الخرافات لا يفهم سواها ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

ظهر الكتاب فرأوا نوراً لم يعتادوا رؤيته ، وضياء لا عهد لهم بمثله ، فأذاهم ذلك النور ، وأنكرت أعينهم ذلك الضياء .

قد تُنكر العينُ ضَوْءَ الشمس مِن رَمَدٍ ‌ ‌ ‌ ‌ ويُنكر الفمُ طعمَ الماء من سَقَم

فبدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر . وإنى مع ذلك أرحمهم ؛ فلم يخلقوا كما يشتهون وليس لهم يد فى ضيق تلك العقول ، وإنى لأعذرهم أيضاً فى إنكار ما أنكروا ؛ فقد جاءهم من الحق ما يجهلون ومن الصدق مالا يستطيعون ، والناسُ أعداء ما جَهِلوا .

ورحم الله أبا الطيب إذ يقول :

وأرْحَمُ أقواماً من العِيِّ والْغَبَا ‌ ‌ ‌ ‌ وأعذِرُ فى بُغْضى لأنهم ضِدُّ

ولهؤلاء أوصِى وصيةَ ناصح مُشْفِق بألّا يقرءوا كتابى ولا يفتحوا له غلافاً ، وعليهم أن يبتعدوا عنه ابتعاد النون من البيداء ، والضبِّ من الدأماء ، فلم أضعْه لهم ولم أقصدْهم به ، وليعلموا أن هذا الكتاب فتنة يُضِلُّ اللهُ به كثيراً ويَهْدِى به كثيراً وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين ، وقديماً قال موسى كليم الله لربِّه فى آية من آياته وهى حق لا ريب فيه : « إنْ هى إلا فتنتُك تُضِلُّ بها مَنْ تشاء وتَهدى مَنْ تشاء » . والله تعالى يبلو الناس ويفتنهم بالخير كما يبلوهم بالشر « وَنَبلُوكُم بالشرِّ والخير فتنةً وإلينا تُرْجَعون » .

ولو أن بيدى مفاتيحَ الهدى لأَفَضْتُ عليهم من الهداية ما تتسع به عقولهم وتستضىء به بصائرُهم وتُشْرِقُ به بواطنُهم ، ولأقمتهم على الصراط المستقيم صراطِ الذين أنعم الله عليهم غيرِ المغضوب عليهم ولا الضالين .

ربِّ إن الهُدَى هُداكَ وآيا ‌ ‌ ‌ ‌ تُكَ نورٌ تَهْدِى بها مَنْ تشاء

اللهم إنى قد أنذرت وحذّرت ، ومن أنذر فقد أعذَر ، ومن حذّرَ فكمن بَشّر .

ومن هذا الفريق جماعة رأوا الكتاب فتعاووا وتعاووا وحرّشوا أنيابهم وحرّكوا أذنابهم ، وأشلوا بى واحداً منهم يمرّ بالمجتمعات وبعض الحوانيت ويقول : إن الكتاب يخالف روحه الدِّين ، وأن عبد الوهاب النجار وكتابه أضرّ على الإسلام من المبشرين — وقد ترامتْ إلىّ أقواله فقلتُ :

تعالى اللهُ مولاىَ ‌ ‌ ‌ ‌ وزاد اللهُ إيمانى

إن قائل هذا القول لم يكن له وجود فى هذه الحياة الدنيا يوم كنت أنافح عن الدين الإسلامى

بلسانى وقلمى فى أول العقد العاشر من القرن الماضى الميلادى ، ولقد حَمَلَنى هذا القول منهم على سرد حوادث ما كنت أوثر سردها ، و إيراد وقائع ما كنت أريد إيرادها .

كنت فى سنة إحدى وتسعين وثمانمائة وألف والسنة التى بعدها طالباً صغيراً بالجامع الأحمدى ، وكان بطنطا قسيس بروتستانتى اسمه « أبو راشد » وكان يرسل باعتراضات له على الإسلام والقرآن ، فجاء بعد ذلك إلى المرحوم الشيخ محمد الوكيل من علماء الجامع الأحمدى ، وكان رحمه الله صديقاً لوالدى ، فطلبت منه أن أكون المجيبَ للقسّيس ، فسمح بذلك . وكانت مساجلات شفهية بعد ذلك بينى أنا والمرحوم الشيخ مجاهد بركات من أعرق الأسر بطنطا من جهة ، و بين القسيس من جهة أخرى فى مسائل الدين . وكنا نجتمع فى بعض الأوقات بإحدى المقاهى بشارع البورصة بطنطا و يحضر معنا بعض مواطنى القسيس اللبنانيين . فكان صدى تلك المجادلات الدينية ينقل إلى القاهرة ثم إلى لندن ، فتضجّ التيمس والجرائد الإنكليزية وتجأر بالشكوى من التعصب الدينى فى مصر مُبْرِقة مُرْعِدة مهدّدة منادية بالويل والثبور ، فتنقل تلك الأقوال فى بعض الجرائد المصرية ، وتنبرى جرائد أخرى لتكذيب ما تقوله التيمس ، منادية بأن الأقباط بمصر لا يُقلق راحتهم أحد ولا تُوجَد من أحدهم شكوى .

ولقد زار السير « أفلن بارنغ » المرحوم السيد « محمد توفيق البكرى » فى إحدى ليالى رمضان بسراى الخرنفش . فسأله السيد عن ضجات التيمس والجرائد الإنجليزية وما تقول به من وجود التعصب الدينى فى مصر مع أنه لا يوجد شىء من ذلك فى القطر المصرى ! فقال جناب السير : إن التعصب الدينى موجود . وأقدر أن أسمى لك مدينة طنطا . وهو لا يعنى بذلك سواى وصديقى الشيخ مجاهد رحمه الله ، وكنا حينئذ طالبَيْن صغيرَيْن ضعيفَيْن .

وقد مرّ بنا بطنطا المرحوم « محمد أفندى يحيى » وكيل السيد البكرى وأخبرنا بما كان ، وأشار علينا بالابتعاد عن القسيس .

وفى ختام ذلك القرن جاءت البعثة التبشيرية الانجليزية مكفولة بحماية اللورد كرومر مَرْعيّة برعايته ملحوظة بعين عنايته ، واتخذت مقرّها المدرسة الإنجليزية ، وكانت موجودة بباب الخلق بشارع محمد على قبالة دار الكتب المصرية . وكان ذلك فى سنة ١٨٩٩ . وكنت وقتئذ مدرساً بمدرسة عابدين الأميرية وكان القسوس من المبشرين يدعون المسلمين إلى دخول الدين المسيحى . فذهبت إليهم ومعى زميلاى وصديقاى المرحوم « أحمد أفندى صقر » والأستاذ الشيخ « أحمد راشد » المدرس بدار العلوم سابقاً

ودخلنا إلى دار التبشير وجادلت المبشرين وناقشتهم فى دينهم حتى أفحمتهم ، ثم انبريت لهم أدعوهم إلى الدخول فى الإسلام ، و بيّنتُ لهم عقائده ومحاسنه ؛ فأنا أولُ مبشِّر بدين الإسلام بشَّر القسوس الذين يدعون إلى النصرانية .

تكرَّر منى هذا الأمر حتى بَرِموا بى وضجُّوا بالشكوى إلى جهات الحكومة ، حتى أرسلت المحافظة الجند مشاة وفرساناً لمنعى من الدخول إلى مكانهم الذى يدعون الناس إليه دعوةً عامة .

و يذكر الذين شاهدونى فى تلك الليلة وقد وقفت فى مكان دار الكتب المصرية — وكانت لَمَّا تُبْنَ إلى ذلك اليوم — وأنا أنادى جماهير المسلمين قائلا : إلىَّ عبادَ الله . فلما أحاطوا بى صرت أخطبهم وأبيِّن محاسنَ الإسلام وأزهّدهم فيما يدعون إليه ، إلى أن جاء البوليس وفرّق ذلك الجمعَ بالقوَّة .

بلغ صنعى هذا المرحوم الشيخ « محمد زكى الدين سند » فاستدعانى وقال لى : ما حاجتنا إلى الذهاب إلى هؤلاء القوم ؟ وخيرٌ لنا أن ننشىء جمعية نسميها « مكارم الأخلاق » . وأن ندعُوَ الناس إلى الحضور إليها ليسمعوا العظات الدينية والنصائح . و بذلك ينصرفون عن هؤلاء القوم ؛ فاتفق رأينا على ذلك . وكُوّنت الجمعية فى سنة ١٣١٧ هـ — ١٨٩٩ وكان الشيخ « محمد زكى الدين سند » رئيساً لها ، وكنت أنا وكيلا والأستاذ « محمد رشدى » القاضى الآن : سكرتيراً لها .

وأقبل الناس عليها إقبالاً عظيما . وأنشأت هذه الجمعية « مجلة مكارم الأخلاق الإسلامية » وأنشأت فروعاً لها ؛ وكان من أعضائها الواضعين لقانونها حضرة صاحب المعالى « محمد حلمى عيسى باشا » وزير المعارف سابقاً . وكان طالباً بمدرسة الحقوق .

أين كانت هذه المخلوقات — التى تخطىء إذا جئت فى استفهامها بِمَنْ — حتى يقول قائلها إن كتاب « قصص الأنبياء » ومؤلف هذا الكتاب أضرّ على الإسلام من المبشرين ؟! « كبرتْ كلمةً تخرجُ من أفواههم إنْ يقولون إلا كذباً » .

كان من عواقب استمرارى على خدمة الإسلام و بذل النصح للمسلمين أن تَبَرَّم بمكانى مَنْ لهم أسماء المسلمين وألقاب الموحِّدين فى نظارة المعارف ، فعاقبونى بإبعادى إلى أسوان مدرساً بمدرستها — أبيت أن أذهب وقدّمت استقالتى من خدمة نظارة المعارف لأشتغل حرًّا لا أتقيد بشىء سوى دينى وضميرى ووجدانى ، وكان من شأن هذه الاستقالة ما كان ، ومن شاء المزيد فليرجع إلى صفحات اللواء فى سنة ١٩٠٠ .

وقد وقفت قلمى ومجهودى على خدمة الإسلام بكل ما أوتيتُ من قوّة مذ عقدت يداى إزارى . فلم يحتج الإسلام إلى الذّوْد عن عقيدته أو بيان محاسنه إلا كنت سبَّاقاً إلى تلك الغاية بخُطبى فى المحافل والمجامع و بما يخطه يراعى .

وعُمِّرت فى الإسلام فازددت بهجة ونوراً . والحمد لله على منته فهو المنعم المتفضل .

و إنى لأقول لمن يبحثون لى عن هفوة أو كبوة :

كَمْ تطلبون لنا عَيْباً فَيُعْجِزَكُمْ   وَيَكْرَهُ اللهُ ما تَأْتُونَ والكرمُ

ما أبعدَ العيب والنقصانَ من شِيَمِى   أنا الثُّرَيَّا وذان الشيبُ والهرمُ

وقد كتب جماعة من حضرات أصحاب الفضيلة العلماء نقداً لكتابى ، وقد أتيت على هذا النقد بما ينقضه ويأتى على بنيانه من القواعد ؛ وسيقف القارىء على نقدهم ونقضه عند كل موضع وجهوا إلىّ النقد فيه ، والله ولى التوفيق ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، ومنه العون و إليه المصير .

وليعلم القارىء الكريم أنى حين شرعت فى كتابى « قصص الأنبياء » كانت ماثلة أمامى قواعد سرت على ضوئها . وإن كانت غير منصوصة كلها فى مقدمة الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، و إنما تركتها على ذهن القارىء وكلها يكاد يكون معلوماً من الدين بالضرورة .

وهأنذا أنصها لتكون نبراساً يَهْتدى به المطّلع على ردّى على تقرير حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة وهى :

(١) أن العقل ركن المعتقدات الأوّل : فما أوجبه كان واجباً . وما أحاله كان مُحَالا . وما أجازه كان جائزاً .

(٢) أن الخبر الوارد عن المعصوم إذا كان قطعىّ الثبوت والدلالة فهو حجة قاطعة على ما تضمنه ، وذلك يشتمل شيئين : الكتاب الكريم ، والخبر المتواتر .

(٣) إذا عارض الخبر العقل ، وجب تأويل الخبر بما يزيل هذا التعارض .

(٤) الخبر إذا كان رواته آحاداً فلا يصلح أن يكون دليلاً على ثبوت الأمور الاعتقادية ؛ لأن الأمور الاعتقادية الغرض منها القطع ، والخبر الظنىُّ الثبوتِ أو الدلالة لا يفيد القطع .

(٥) ما نقل عن الأنبياء مما يشعر بكذب أو معصية : فما كان منقولا بطريق الآحاد سواء بلغ حدّ الشهرة أولا فمردود ؛ لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصى إلى الأنبياء .

(٦) ما نقل مما يُشْعر بكذب أحد الأنبياء أو معصيته وكان النقل متواتراً ، فما يمكن صرفه عن ظاهره صُرِف إن أمكن ، و إلا فيُحْمَل على أنه ترك الأولى ، أو قبل البعثة .

(٧) المعجزات لا تثبت بخبر الآحاد ؛ لأنّ المطلوب فيها اليقين . وخبر الآحاد لا يقين فيه .

(٨) إنكارُ المعجزة الثابتة بنصٍ قطعى الثبوت والدلالة كُفْر .

(٩) الإسرائيليات لا حرج فى مخالفتها ولا فى إنكارها جملة وتفصيلا .

(١٠) كتب العهد القديم والجديد : ما كان منها موافقاً للقرآن فهو حق ، وما كان منها مخالفاً للقرآن فهو باطل . وما كان القرآن ساكتاً عنه فلا نقطع بصدقه ولا بكذبه . و يجوز نقله والاستئناس به .

(١١) أقوال المفسرين ليست حجة قاطعة فيما نصت عليه ، بل هى أوجُه كما يجوز حمل عبارة القرآن عليها ، يجوز مخالفتها ، وحمل عبارته على غيرها . ولا مؤاخذة على مَنْ خالفها .

(١٢) القرآن الكريم لا تنقضى عجائبه ، ولا تَنْفَد غرائبه ؛ فلكل امرىء أن يتدبره بعقله و بفهمه على الوجه الذى يستقر فى اعتقاده ، بشرط أن يكون ذلك جارياً على مقتضى العربية غيرَ مُخِلّ بفصاحته ولا مُخِلّ بشىء من مقاصد الدين .

ملاحظتان

(١) قال الإمام أحمد : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير ، والملاحم ، والمغازى » وعندى أيضاً أنه متى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ما نقل عن الصحابة نقلا صحيحاً فالنفس إليه أسكن مما ينقل عن التابعين » — وكل ذلك فيما يتعلق بأمر يحتاج فيه إلى اليقين .